بحث
٥

الصراع بين بني خالد والوهابيين
١٧٤٥ - ١٨٧٣

د. محمد علي القوزي
كلية الآداب
جامعة بيروت العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

الصراع بين بني خالد والوهابيين

١٧٤٥ - ١٨٧٣

"لم يبسط الملك لآل سعود حتى أخذوا الاحساء"(١)

عندما نلحظ بعض المظاهر الحضرية السياسية في مجتمعات شبه الجزيرة العربية، يتبين لنا أنها ما زالت هشة؛ ذلك أن الأنظمة السياسية القائمة في المنطقة اعتمدت لتثبيت وجودها على المجتمع القبلي العشائري بكل ما تعنيه الكلمة من عصبية أو عنصرية. وتشير الاحداث السياسية وما رافقها من تحركات عسكرية الى شيء من هذا، وذلك عندما تظهر أهمية القبيلة ودورها في دعم نظام الحاكم؛ نلحظ ذلك مثلا في الصراع العسكري الأخير قبل توحيد اليمنين، وقبله السعي للحصول على تأييد القبائل خلال الغزو العراقي للكويت، وقبله أيضا الصراع على واحة البريمي في شبه الجزيرة العربية.

من هنا تظهر لنا عدم قدرة أي باحث على إنكار دور القبيلة خلال دراسته للواقع التاريخي والسياسي في شبه الجزيرة العربية(٢). هذا في

---

(١) لمع الشهاب مخطوط في المتحف البريطاني ص: ٣٤٨ حققه أحمد ابو حاكمة بعنوان: "كتاب لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب" مؤلف مجهول دار الثقافة بيروت بدون تاريخ ص: ١٢٨.

(٢) اعتمد وضع الحدود في منطقة الخليج العربي على ظروف المنطقة الصحراوية، وما يستتبع ذلك من مصادر مياه ومناطق رعي، وكان بالتالي من الصعب وضع الحدود أو تحديدها بالمفهوم العصري، خاصة وانه حتى عام ١٩٢٦ كان إنسان المنطقة يعيش مرحلة الجمع والالتقاط وينتقل في الصحاري سعيا وراء الماء والكلأ وكان الحاكم يمارس سيادته على قبيلته دون الارض لعدم ارتباط القبيلة بالارض، فالتبعية السياسية تعتمد اساسا على علاقة رؤوساء القبائل بحكام الدولة ... وليس على أساس المواطنة.

الوقت الذي قامت فيه المملكة العربية السعودية بمحاولات لتقليص هذا الدور باتباع سياسات مختلفة، كأن تسعى للانتقال من المجتمع القبلي الى المجتمع الحضري.

من هنا كانت ضرورة البحث في فترة غامضة من تاريخ المملكة، فترة بدأت قبل الدعوة الوهابية واستمرت فصولها بعد ذلك، فترة سبقت ضم عسير ومشكلة البريمي، هي فترة الصراع على منطقة الاحساء الغنية والاستراتيجية بالنسبة للمملكة. والتي تشكل مستقبلا الأرض الخصبة لأحداث وتغييرات تتعرض لها المنطقة.

تعود فترة الدراسة لمرحلة القضاء على قبيلة بني خالد؛ تلك القوة التي كانت مسيطرة على منطقة الاحساء، وانتقلت هذه السيطرة بعد ذلك لآل سعود الذين استطاعوا أن يخمدوا -حتى الآن- نار التعصب المتأججة من خلال الفسيفساء المذهبية الظاهرة في المنطقة.

والقضاء على هذه القبيلة - الذي تم في نهاية القرن الثامن عشر - يدعونا للوقوف أمام تحديد مفهوم الحق وارتباطه بالتاريخ الزمني، هذا المفهوم الذي لم استطع أن أجد له تفسيرا في القوانين الدولية الحالية.

فمثلا نلحظ تغير مفهوم وتحديد المياه الاقليمية في القانون الدولي. فقد سخر العالم من موسوليني عندما أطلق عبارته "Notre MARE" وحاول بها أن يجعل من البحر المتوسط بحيرة ايطالية استنادا على حقوق تاريخية قديمة ولكن هذا العالم نفسه سكت عن احتلال اسرائيل لاراض عربية وإقامة دولة عليها استنادا على ادعاءات بحقوق تاريخية.

والسؤال: ما هي الفترة التي يبدأ بها تطبيق هذا الحق ومتى تنتهي؟

فموسوليني كان سخرية العالم في الحرب العالمية الثانية عندما ظهر بفكرة احياء الامبراطورية الرومانية، واسرائيل بقيت موضع شفقة العالم وتأييده عندما أقامت دولتها في نفس هذه الفترة. وليس هذا الحدث الفريد في التاريخ فاعادة الممتلكات للكنيسة الكاثوليكية وتحديد الفترة الزمنية لصلح اغسبورغ بعد حركة الاصلاح الديني بقيت أيضا طويلا أمام أخذ ورد. وهل يعني هذا التسليم بأن للقوة والأمر الواقع دور في تحديد الحقوق التاريخية زيادة أو تقليصا؟

لقد قامت المملكة العربية السعودية في بداية هذا القرن بالتوسع على حساب الأدارسة والأشراف وآل رشيد ولم نجد أي مطالب بإعادة هذه القوى، ولكن إدعاء العراق بحقوق تاريخية له بالكويت أقام الدنيا ولم يقعدها حتى الآن.

لقد مرت بالعالم مشاكل عديدة بدت كلها معقدة أمام المفهوم الزمني للحق التاريخي. ففي القضية الفلسطينية نجد إدعاء بحق تاريخي يتحقق بعد الاف السنين وفي الادعاءات العراقية نجد العالم يسخر ويعاقب العراق لمحاولته تحقيق هذا الادعاء. من هنا كانت فكرة البحث .

اين هو الحق التاريخي لامراء وحكام الاحساء بنو خالد؟

وهل يعود هؤلاء مجددا الى الساحة الدولية إذا اقتضت ذلك ظروف السياسة الدولية.

وكباحث يفترض به التجرد، قمت بالتفتيش عن دور هذه القبائل في تاريخ شرقي شبه الجزيرة والنهاية التي آلت اليها هذه القبائل، ثم توصلت الى نتيجة وهي أن العائلة الحاكمة في المملكة العربية السعودية استطاعت

القضاء على هذه القبائل باعتماد نظام الدولة الحديثة، وابعاد أطماع من بقي من هذه القبائل أو احتوائه عن طريق المصاهرة.

وتنفرد قبائل بني خالد بظواهر مشوقة للباحث، فهم أصحاب منطقة الاحساء بدوا وحضرا، ولا تخفي أهمية الاحساء الاقتصادية بالنسبة للملكة العربية السعودية، فهي الأقرب الى الدرعية عاصمة الدولة الجديدة، وهي صاحبة الموقع الاستراتيجي المطل على الخليج العربي ومرافئها في السابق صالحة لصيد الاسماك واللؤلؤ، ثم إن حكامها هم الذين بدأوا فعلا نشاطهم ضد الدعوة الوهابية بضغط على عثمان بن معمّر ليتخلص من محمد بن عبد الوهاب(١).

وقد ورد في كتاب لمع الشهاب: " وأما بنوا خالد فهم قوم كرام أهل شيمة ومجد، وصيانة عرض، وحكامهم منهم، وهي طائفة تسمى آل حميد(٢)، وهم ولاة اراضي كثيرة معروفة، مما يلي نجدا الى القبلة، حتى تمضي شرقا الى البحر وشمالا الى الجهرة(٣)وجنوبا الى ارض الصير من عمان وعدد بني خالد هم مع توابعهم ثلاثون الفا أو يزيدون... ونسب بني خالد فيما حدثنا النسابون يرجع الى ربيعة والله أعلم"(٤).

---

(١) NIE BUHR: TRAVELS THROUGH ARABIA AND OTHER COUNTRIES IN THE EAST: TRANSLATED INTO ENGLISH BY ROBERT HERON VOL II LONDON 1792-PP. 125-128

(٢) الجدير ذكره أن قبائل بني خالد همُ أربعة: آل حميد – الصبيح – المهاشير – العماير.

(٣) قرية بالكويت فيها ماء وبساتين وتقع على طريق الكويت البصرة.

(٤) أحمد مصطفى ابو حاكمة: محقق كتاب لمع الشهاب مرجع سابق ص ص، ٦٥ – ٦٦.

زيادة على ذلك نلحظ تلك الزخرفة المذهبية الموجودة في المنطقة[1] والتي يمكن للاعداء استغلالها من خلال إيجاد نعرات وحركات انفصالية، ولا شك أن غنى هذه المنطقة يؤجج أطماع الآخرين لاحتلالها، كما حصل في الشمال مع العراق، أو في الشرق مع بلاد فارس. وإذا كانت الغاية من البحث هي الوصول للحقيقة الا أننا نلحظ أن العديد من البحوث والكتابات حول هذا الموضوع جاءت مجانبة للحقيقة ساعية للوصول الى غاية معينة. من هذا المنطلق اقول ان كثرة الكتابة في موضوع ما، ليست بالضرورة تظهر حقيقة هذا الموضوع بل قد تشكل عقبة أمام الباحث لأن الضوضاء التي تظهرها هذه الكتابة تجعل الحقيقة بعيدة عن الوضوح.

وقد اعتمدت هذه الدراسة في معظمها على المصادر العربية، لأن هذه المصادر تخصصت في ذكر الصراع القائم بين القوى النافذة في شرق الجزيرة العربية، وخاصة الدراسات التي جاءت حول مؤلفات ابن غنام وابن بشر ولمع الشهاب، في حين أن المصادر والمؤلفات الاجنبية وخاصة سجلات الشركة البريطانية في البصرة قد تخصصت بالعلاقات بين القوى

---

(١) راجع أمين الريحاني: "نجد وملحقاته وسيرة عبد العزيز بن عبد الرحمن ال سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها" – الرياض – منشورات الفاخرية الطبعة الخامسة ص ٢٩ و ٣٠ – وكذلك فؤاد حمزة؛ "قلب الجزيرة العربية" مكتبة النصر الحديثة، الرياض الطبعة الثانية ١٩٦٨ ص ١٧٨ وما بعدها حيث يقول بوجود شيعة اتباع الامام محمد بن الحنفية في جبل رضوى، ووجود قرامطة في القطيف ووجود شيعة إماميه في معظم القرى المنتشرة في المنطقة الشرقية. ويشير ضمنا الى ان بني خالد هم من السنة عندما يقول بوجود قسم من بني خالد المتشيعين. راجع ايضا جبران شامية: "ال سعود، ماضيهم ومستقبلهم" – لندن مؤسسة رياض الريس ومشاركوه؛ ١٩٨٦ – ص٢١.

المحلية وهذه الشركة، والعوامل المؤدية لقيام الدويلات في هذه المنطقة مثل دولة العتوب في الخليج.

وهنا لا يسعني إلا أن اعترف بفضل الباحث الدكتور أحمد ابو حاكمة الذي أظهر من خلال كتابته في تاريخ شرقي الجزيرة العربية ما خفي في بطون المصادر العربية والأجنبية وبيّنه باسلوب تحليلي واستنتاجي غايته الوصول الى الحقيقة.

ولقد كان الشيخ حسين بن غنام[1] أول مؤرخ وهابي نقل الينا أحداث المنطقة من خلال مؤلفه "روضة الافكار والافهام لمرتاد حال الامام وتعداد غزوات ذوي الاسلام". الذي كتبه في مجلدين بحث في المجلد الأول أوضاع نجد والمناطق المجاورة لها وتحدث عن أسرة محمد بن عبد الوهاب ونجاحه وتأثيره في بقية الشيوخ من معاصريه. أما المجلد الثاني وهو ما يهمنا في هذا البحث فهو "كتاب الغزوات البيانية..." وهو أول كتاب تاريخي عن الحركة الوهابية ويقول المؤلف في مقدمته أن غرضه من تأليف الكتاب هو نشر العقيدة الوهابية التي يؤمن بها.

وقد أورد أبو حاكمة دراسة تفصيلية للعديد من المؤلفات المهتمة بالحركة الوهابية وبتاريخ شرقي الجزيرة العربية في مؤلفيه: "تاريخ الكويت"، و"تاريخ شرقي الجزيرة العربية" كما أورد دراسة عن عثمان بن عبد الله البشر[2] في كتابه: "عنوان المجد في تاريخ نجد"، ثم انتقل بعد ذلك

---

(١) فقيه بن الاحساء توفي عام ١٨١١ وقد قام د. ناصر الدين الاسد بتحرير الكتاب المذكور وتحقيقه ونشرته دار الشروق بيروت وكانت الطبعة الثانية عام ١٩٨٥.

(٢) توفي عام ١٨٧١ تميز عن إبن غنام بسعة آرائه وأورد في مؤلفه وقائع قيمة عن الدولة السعودية والحياة الاجتماعية في الجزيرة العربية كما أورد في

للكلام عن المؤرخين الذين تعرضوا للحركة الوهابية ونقدوها وهم مؤرخي الدولة العثمانية في العراق ومنهم ياسين بن خير الخطيب العمري صاحب:"كتاب الدر المكنون في مآثر الماضية من القرون". والكتاب يتعرض لرأي الشيعة في الأعمال التي ارتكبها الوهابيون والمؤلف يدمغ الوهابيين بالخيانة كما يسمى زعيمهم سعود نذلا[1] .

من ناحية اخرى نجد بعض المؤرخين المحايدين أو المعارضين للدعوة الوهابية، فمثلا نلحظ في كتاب "لمع الشهاب"[2] أن مؤلفه غير متفق مع الوهابيين إلا انه كان موضوعيا يحلل الحقائق التاريخية. ومن هنا يعتبر هذا العمل قيما بسبب استقلاليته بالذات وعدم اعطائه الصفة الرسمية التي نجدها عند ابن غنام وابن بشر اللذان يمثلان وجهة نظر الوهابية.

المجلد الأول بعنوان "السوابق" اسماء ومشايخ بن خالد. وقد طبع الكتاب على نفقة وزارة المعارف بالمملكة العربية السعودية سنة ١٣٩١هـ.

(١) نقلا عن أحمد ابو حاكمة: تاريخ الكويت الجزء الأول القسم الأول لجنة تاريخ الكويت – الكويت – دون تاريخ ص: ٢٧. وللمؤلف ايضا تاريخ شرقي الجزيرة العربية من ١٧٥٠ الى ١٨٠٠، وفيه دراسة للمصادر العربية وايضا نشأة وتطور الكويت والبحرين ترجمة محمد أمين عبد الله، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت بدون تاريخ. راجع حول الموضوع ص ١٧ وما بعدها.

(٢) وهو عبارة عن سجل في ٧٦٤ صفحة لمؤلف مجهول ويشمل فترة من تاريخ الجزيرة العربية تبدأ في العقد الرابع من القرن الثامن عشر وتنقطع فجأة عند احداث ديسمبر ١٨١١، ويعبر واضع الكتاب عن احترامه لابن عبد الوهاب، ولكنه يعتبر مذهبه بدعة، وهذا السجل مخطوط محفوظ في المتحف البريطاني، راجع ابو حاكمة تاريخ شرقي الجزيرة العربية مرجع سابق ص: ٢٣.

أما عن مؤلفات معارضي الحركة الوهابية فمنها مؤلفات سليمان بن عبد الوهاب الحجازي[1] وأحمد بن زيني الدحلان[2]، وسليل بن زريق العماني، والشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عفالق[3].

كما نجد العديد من الكتابات عن الحركة الوهابية وتوسعاتها، وذلك عند عثمان بن سعد البصري وابراهيم الحيدري البغدادي.

ومن المصادر العثمانية التركية "تاريخ جودت" من عام ١١٨٨ هـ الى عام ١٢٤١ هـ وهو ثمرة عمل متواصل استغرق ثلاثين عاما واعتمد على كتب الوقائع السابقة له من المذكرات واللوائح والأرشيف العثماني، وما كان يضمه من وثائق وخطابات رسمية فضلا عن المؤلفات الاوروبية،

---

(١) هو شقيق محمد بن عبد الوهاب. وكان الشيخ سليمان ينكر على اخيه محمد اشد الأفكار فيما يفعله أو يأمر به. وقد قال له أخوه سليمان يوما: كم أركان الاسلام يا محمد بن عبد الوهاب فقال خمسة؛ فقال: "بل أنت جعلتها ستة، السادس من لم يتبعك فليس بمسلم، هذا ركن سادس عندك للاسلام"... ولما طال النزاع بينه وبين اخيه خاف اخوه أن يأمر بقتله، فارتحل الى المدينة والف رسالة في الرد عليه وارسلها له لينهيه عن افكاره فلم ينته".

(٢) السيد أحمد بن زيني الدحلان: "خلاصة الكلام في بيان امراء البلد الحرام"، مصر مكتبة الكليات الأزهرية الطبعة الأولى ١٣٠٥هـ - ١٨٨٨م، وقد ورد في الصفحة ٢٣٣ منه، عن قبائح محمد بن عبد الوهاب يقول: "ومن قبائحه الشنيعة أنه منع الناس من زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فبعد منعه خرج أناس من الاحساء وزاروا النبي صلى الله عليه وسلم، وبلغه خبرهم فلما رجعوا مروا عليه في الدرعية، فامر بحلق لحاهم ثم اركبهم مقلوبين من الدرعية الى الاحساء". ويورد أيضا أن محمد بن عبد الوهاب أمر في الاحساء أن تجعل بعض قبور الاولياء محلا لقضاء الحاجة". المرجع نفسه ص: ٢٣٦ حيث يتهمه أيضا بتكفير الأمة وأحراق الكتب الكثيرة وقتله الكثير من العلماء.

(٣) له كتاب: " تهكم المقلدين بمدعي تجديد الدين".

وما يهمنا من هذا المؤلف الضخم الذي يضم اثني عشر جزءا، هو الجزء السابع حيث يتكلم عن فتح سعود بن عبد العزيز للاحساء والقطيف وعجيرة واقتتالهم مع والي بغداد وهزيمة جنود الوالي[1] .

أما عن بني خالد موضوع البحث فقد بدأت قوتهم بالظهور عندما وقعت المنطقة الشرقية تحت الحكم العثماني، ولما لم يستطع العثمانيون الاحتفاظ بنفوذهم قويا في المنطقة اضطروا لاسترضاء بني خالد منعا للشغب، وانتهز زعيم بن خالد فرصة الخلاف الذي نشب بين والي بغداد وحاكم البصرة[2] وثار ضد العثمانيين ونجح بارغامهم على الانسحاب من المنطقة، وبعدما اضطر العثمانيون الى مغادرة الاحساء أمام زعيم بني خالد براك بن غرير آل حميد عام ١٠٨٠هـ- ١٦٦٩م أصبح حكم شرقي الجزيرة لآل حميد الخالدي.

وتتميز المنطقة بوجود مذاهب اسلامية مختلفة فيها، ففي حين يشير البعض الى وجود القرامطة[3] يقول آخرون بأنها كانت موطنا للمذهب الشيعي الجعفري جنبا الى جنب مع المذاهب السنية[4] .

---

(١) محمد عبد اللطيف هريدي: تاريخ شبه الجزيرة العربية من المصادر التركية العثمانية، الزهراء - القاهرة ١٩٩٠ ص ١٣ - كما صدر في اسطنبول حول هذا الموضوع "تاريخ جودت" عام ١٣٠٩هـ- ١٨٩١م. والمتعلق بتاريخ الدولة العثمانية في المنطقة. وقد قام مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية في الرياض ودارة الملك عبد العزيز بإعادة اصداره بترتيب جديد.

(٢) محمد سعيد مسلم ساحل الذهب الأسود دراسة تاريخية انسانية. الطبعة الثانية منشورات دار مكتبة الحياة بيروت بدون تاريخ حيث يعيد استيلاء براك بن غرير على الاحساء الى ضعف الدولة العثمانية بعد هزيمتها امام روسيا. راجع ص:١٧٥.

(٣) محمد آل عبد القادر: تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القديم والجديد، الرياض ١٣٧٩هـ- الجزء الأول ص:١١ .

(٤) عبد الله العيثمين: تاريخ المملكة العربية السعودية الرياض - الطبعة الأولى ١٩٨٤ ص:٣٢.

وإذا تتبعنا التاريخ العسكري والسياسي لقبائل بني خالد في الاحساء نجد أن نفوذهم ازداد حتى كاد أن يصل الى نجد[1] وبدأ ينافس رغبة الاشراف الحجازيين في السيطرة عليها. مع أن نجد لم تشهد نفوذا قويا يحقق الاستقرار السياسي داخلها لأية جهة خارجية، فرغم نفوذ بني خالد في بعض جهاتها ونفوذ اشراف الحجاز في جهاتها الاخرى فقد بقيت الحروب قائمة بين البلدان النجدية وبقي الصراع حادا بين القبائل المختلفة[2].

وكان تدخل حكام الاحساء أكثر احتمالا وفعالية من بقية المناطق وخاصة في الصراع الوهابي مع اشراف الحجاز، ويعود ذلك لأسباب منها:

١- قوة النفوذ الخارجي الحكام الاحساء[3]. علما أن الامارة السعودية بدأت تلعب دورها في تاريخ شبه الجزيرة بعد أكثر من خمسين عاما على ولاية بني خالد للاحساء أي في عهد محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان.

---

(١) وفي هذا يشير جبران شاميه في مؤلفه: "آل سعود ماضيهم ومستقبلهم" منشورات الريس لندن ١٩٨٦ – ص:٢٠ نقلا عن الزركلي في مؤلفه: "تاريخ الملك عبد العزيز" قوله: وذهب حكم القرية (الدرعية) الى بني خالد حتى عام ١٧٠٩ حين تولى الحكم موسى بن ربيعة بن وطبان واستمر حتى خلعه أهل الدرعية".

(٢) عبد الله العيثمين تاريخ المملكة العربية السعودية مرجع سابق ص: ٣٧.

(٣) المرجع السابق ص: ٣٠-٣١.

٢- وقوف حكام الاحساء العلني ضد الدعوة الوهابية، ومنها الضغط على عثمان بن معمر حاكم العيينة ليتخلص من محمد بن عبد الوهاب بعد رجم الزانية[١] . وهكذا لم تقتصر حدود نفوذ بني خالد على منطقة الاحساء بل امتدت في أوجها من قطر جنوبا الى البصرة شمالا والى بعض اجزاء من نجد شرقا، بل إن سكان نجد كانوا يعترفون بأن شيخ بني خالد هو أقوى جيرانهم، وكانوا يسعون لإرضائه بالهدايا وتقديم فروض الطاعة، بل لقد كان عثمان بن معمّر صاحب العيينة يسعى للحصول على رضى بني خالد بتقديم الهدايا، وكان إذا تأخر في ذلك يقوم شيخ بني خالد بغزو المدن النجدية ويعود محملا بالغنائم[٢].

٣- قرب الاحساء من الدرعية عاصمة الوهابيين، الأمر الذي جعل الوهابيون يدركون أنهم بمحاربتهم لبني خالد لا يحاربون شيوخا صغارا على نمط صغار زعماء نجد، وأنه لا بد أمام النجديين لكسب ولاء بني خالد من تقديم الهدايا لهم[٣] .

---

(١) والى هذا يشير أمين الريحاني: "نجد وملحقاته" الرياض منشورات الفاخرية الطبعة الخامسة ص:٣٩ و ٤٠ بقوله: "بعد اعتراف الزانية وشهادة اربعة من الاعيان كان لا بد أمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب من الرجوع الى الشرع ورجم الزانية، الأمر الذي أقام الدنيا ولم يقعدها ومن بين من قاموا أهل الاحساء الذين كانوا يستمتعون بإباحية القرامطة. فكتب سليمان بن محمد ال حميد شيخ بني خالد الى شيخ العيينة عثمان بن معمر بإيقاف الشيخ عند حده وإلا فليقتله، ورأى عثمان أن خير طريق لحفظ منصبه وخلاص صاحبه، هي أن يغادر الشيخ العيينة الى الدرعية".وذلك عام ١٧٤٤م.

(٢) أحمد ابو حاكمة: تاريخ الكويت مرجع سابق ص: ٢١٥..

(٣) لقد كان شيخ العيينة عثمان بن معمّر يمتلك مزرعة نخيل في الاحساء تدر عليه ربحا سنويا يقدر بستين الف ريالا ذهبيا. راجع ابو حاكمة المرجع السابق ص: ٧٦.

أما مراحل الصراع الخالدي الوهابي فقد تطورت تبعا لتطور قوة الوهابيين؛ وتقسم هذه المراحل الى ثلاث:

الأولى: بدأت بالغارات الوهابية على القبائل الموالية لبني خالد وكانت الغاية منها جس النبض وارهاب هذه القبائل، وكانت هذه المرحلة سمة العقد التاسع من القرن الثامن عشر.

الثانية: امتازت باتباع زعماء الوهابية سياسة فرق تسد الرامية الى ضرب زعماء بني خالد بعضهم ببعض وبالتالي إضعاف ولاء الاسرة الخالدية لزعمائها.

الثالثة: مرحلة غزو وفتح مدن الاحساء وتدميرها وتشييد حصون وهابية للدفاع عن المنطقة ولتأكيد خضوع المنطقة للوهابيين[1]. وكانت هذه المرحلة سمة العقد الأخير من القرن الثامن عشر.

هذا بالنسبة للوهابيين، أما بالنسبة لبني خالد فقد اتخذ زعماؤهم منذ البدء موقفا من عودة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فقد هاجم الزعيم الخالدي سعدون بن محمد بن غرير الدرعية عام ١٧٢٠، كما كان اخوه سليمان وراء اخراج الشيخ من العيينة عام ١٧٤٤.

سليمان بن محمد ١٧٣٦ - ١٧٥٢.

الواقع أن الذي يتدبر الصراع بين الوهابيين وبين بني خالد من أجل السيادة على شرقي جزيرة العرب وقلبها يستطيع أن يتبين عوامل سياسية واقتصادية ودينية كانت تكمن خلف ذلك الصراع، فبالنسبة لبني خالد كان الوهابيون يمثلون خطرا ناميا يجب أن يتحكموا فيه قبل ان يتسع

---

(١) أحمد ابو حاكمة:"تاريخ الكويت" - مرجع سابق ص: ٢٣١.

فيشمل منطقة أوسع من الدرعية، غير أنه لم يكن بمقدورهم أن يتخذوا اجراء حاسما بهذا الخصوص، لأن سليمان بن محمد كان يتعرض بصفته زعيما لبني خالد لمنافسة شديدة على الزعامة من بين افراد اسرته نفسها، ولا سيما من قبل ولدي اخيه سعدون؛ وهي منافسة انتهت بطرد سليمان ومن ثم وفاته في السنة نفسها ١٧٥٢م.

عريعر بن دجين: ١٧٥٢ - ١٧٧٤.

بعد سليمان استمر الصراع على الزعامة في بني خالد حتى تمكن عريعر بن دجين بن سعدون بن محمد من السيطرة على مقاليد الأمور. ولعل هذا الصراع الداخلي كان من أهم الاسباب في تأخر الزعامة الخالدية عسكريا ضد الدولة الوهابية الناشئة في الدرعية[١] والتي كانت في بداية امرها؛ ولم يكن امرها يزعج امير الاحساء وإنما اخذ نشاطها يلفت نظره نسبيا.

استمر عريعر في حكمه اكثر من عشرين عاما، وكانت سمة حكمه الغزوات التي قام بها الى نجد[٢] في وقت لم يكن فيه الوهابيون يستطيعون شن الغزوات على الاحساء، ومع ذلك رفعوا هيبتهم باستيلائهم على الرياض فازدادوا مناعة ورهبة دفعت عريعر لشن غزوات بعيدة عن الدرعية، فحقق نجاحا في بريدة ووجد تأييدا من أعداء الوهابيين فتابع تقدمه الى الخابية وحاصرها.

---

(١) عبد الله العيثمين: تاريخ المملكة العربية السعودية - مرجع سابق ص: ٩٧.

(٢) امين الريحاني: نجد وملحقاته - الرياض منشورات الفاخرية الطبعة الخامسة ١٩٨١. ص ٤٥ - ٤٦ - وفيها وصف للدبابة التي استعملها عريعر في ذلك الوقت لدك حصون الوهابيين.

وفي عام ١٧٦٤ قام حسن المكرمي رئيس نجران - الباطني المذهب - بمهاجمة الوهابيين قرب الدرعية، وهزم قواتهم، ولما علم عريعر بن دجين بذلك اتفق مع المكرمي على أن يشنا هجوما مشتركا على الدرعية، ولكن الوهابيين سارعوا بالاتفاق مع حسن المكرمي إلا جلاء قواته، واضطر عريعر عند وصوله للدرعية أن يهاجمها منفردا ولم ينجح[١] .

لقد بينت هذه الوقعة للوهابيين أن أعداءهم ليسوا فقط في نجد بل هم أيضا في الاحساء وانهم سيغتنمون الفرصة المناسبة للقضاء عليهم، فكانت أوضاع بني خالد والوهابيين حساسة في هذه الفترة، فكلا الطرفين يستعد للقضاء على الآخر وينتظر الفرصة الملائمة لهذا العمل.

سعدون بن عريعر ١٧٧٤ - ١٧٨٦

بعد موت عريعر ١١٨٨هـ ١٧٧٤م نشبت الفتنة بين ولديه بطين[٢] وسعدون اللذين اختلفا على رئاسة القبيلة، وبدا النزاع بين زعماء بني خالد واضحا، فلم يقوموا بدعم سعدون إلا بعد اتفاقه مع أخيه دجين على خنق اخيهم الاكبر بطين لمحاولته تولي الزعامة في بني خالد.

بل ان سعدون سرعان ما دس السم لاخيه وحليفه دجين وتخلص منه ليصبح زعيما على بني خالد في نفس السنة. وهنا تجدر الاشارة الى ان بني خالد رغم نزاعاتهم الداخلية قد حافظوا على قوتهم، وكان بمقدورهم دوما نقل المعركة الى نجد.

---

(١) أحمد ابو حاكمة: تاريخ الكويت، مرجع سابق ص: ٢١٩.

(٢) وعن بطين يشير محمد سعيد المسلم في كتابه "ساحل الذهب الاسود الطبعة الثانية منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٠ ص: ١٧٧ : "ان بطين كان فاسد التدبير سيء السلوك، الأمر الذي حمل أخويه دجين وسعدون على اغتياله".

في خضم هذه الصراعات الاسرية كان عبد العزيز بن محمد بن سعود (١٧٦٥ - ١٨٠٣م) يركز حكمه في نجد ويعمد الى سياسة التفرقة بين خصومه خاصة بعدما تأكد من صراع الزعامات على السلطة في بني خالد بعد وفاة عريعر، وأن هذه الزعامات لم تؤيد سعدون بقوة، فلجأ عبد العزيز بن سعود الى الرشوة كوسيلة لتحطيم قوة بني خالد في شرقي الجزيرة، وكتب رسائل الى اخوة سعدون يشجعهم فيها على الثورة على اخيهم ويقول:

"ليس سعدون بأولى منكم في الحكومة بل كونوا أنتم حكاما باجمعكم فإن أبى عن ذلك، فاصنعوا فيه ما يزيل رأسه. فإن عاندكم أحد من بني خالد ولم تظفروا به، هذا أنا أمدكم بالمال والرجال ولا اتوقف حين يبلغني منكم علم على حسب ما تريدون"[1] .

بدا واضحا في هذا الوقت التدخل الخارجي في زعامة بني خالد، وهذا دليل ضعف لم نلحظه سابقا، عند طرد سليمان بن محمد من قبل ولدي اخيد سعدون عام ١٧٥٢م ولا عندما نصب عريعر بن دجين بن سعدون نفسه زعيما في نفس هذه السنة.

ومع هذا الوضوح في التدخل الخارجي لشؤون الزعامة الخالدية، فقد استطاع سعدون بن عريعر أن يقوي مركزه في الحكم وأن يبعد أخويه بطين ودجين عن الزعامة الخالدية دون أية مساعدة خارجية. ولكن لا يفوتنا القول أن المؤامرات الوهابية بقيت تتابع لتعجل في نهاية هذه الاسرة.

---

(١) أحمد ابو حاكمة: تاريخ الكويت مرجع سابق ص ٢٢١. راجع كذلك كتاب "لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب" تحقيق د. احمد ابو حاكمة - دار الثقافة بيروت ص: ٦٨.

عبد المحسن بن سرداح ١٧٨٦ - ١٧٩١

لقد قام عبد المحسن بن سرداح بن عبد الله بن غرير الـ حميد بثورته ضد سعدون سنة ١٢٠٠هـ ١٧٨٥م بتشجيع من الوهابيين، وكان عبد المحسن هذا هو خال دويحس ومحمد ابناء عريعر وأخوا سعدون، واللذان كانا يرغبان بتولي الزعامة مكانه.

وفي عام ١٧٨٥ عندما شعر عبد المحسن أن أنصاره وأنصار ابني اخته دويحس ومحمد لم يكن بمقدورهم تحقيق النصر، طلب المساعدة من ثويني شيخ قبيلة المنتفق الذي انضم بقواه الى عبد المحسن ودويحس ومحمد، واستطاع هذا التكتل أن يلحق الهزيمة بسعدون في معركة "جضعة" وفر سعدون الى الدرعية يطلب مساعدة عبد العزيز آل سعود لاستعادة الاحساء(١).

ونظرة مقارنة الى زعامة نجد وزعامة الاحساء، نجد تناقضا غريبا؛ هنا نلحظ أن فترة حكم ابن سعود التي دامت اربعين عاما كان يقابلها تنافس وتعاقب سبعة زعماء على الحكم عند بني خالد في فترة عشر سنوات من ١٧٨٦ حتى ١٧٩٦(٢) . الأمر الذي سمح لعبد العزيز متابعة المضي في سياسته وضرب بني خالد بعضهم ببعض حتى يتأكد أن الوقت قد حان للقيام بهجوم على اراضيهم في الاحساء.

---

(١) المرجع السابق: ص: ٢٢٢ وكان ثويني هذا هو الذي اتفق سابقا مع الوهابيين ثم قام بثورة على والي بغداد العثماني وفشلت ثورته ١٧٨٧. قد ساءه أن يمنح الوهابيون سعدونا حق اللجوء الى الدرعية فمال الى مساعدة حكام بني خالد الثلاثة عبد المحسن ودويحس ومحمد.

(٢) وهم سعدون بن عريعر وعبد المحسن بن سرداح وابن اخته دويحس ومحمد. وزيد وماجد ابني عريعر وبراك بن عبد المحسن.

لقد أصبح الوضع في الاحساء على الشكل التالي: سعدون زعيم بني خالد السابق يطلب المساعدة من آل سعود، وقوى بني خالد تتكتل وراء عبد المحسن خال دويحس ومحمد دون أن تصل الى مستوى الزعامة المطلوبة بل ان عبد المحسن كان كاتما لهما العداوة يريد الرياسة لنفسه[1].

إن استيلاء هؤلاء الثلاثة على الحكم في بني خالد دون الزعامة جعل الأمر أكثر وضوحا وبقي الصراع العائلي مستمرا. خاصة وان المنافسة كانت بين آل عبدالله وآل محمد إبنا المؤسس غرير آل حميد.

وعبد المحسن هو من آل عبدالله وكان الملك غير المتوج على بني خالد، في حين ان ابني اخته دويحس ومحمد إبنا عريعر اللذين كانا من آل محمد اللذين تعاقبا على الحكم بعد براك بن غرير باني قوة بني خالد لم يكن بيدهما من الأمر شيئا".

عمل الوهابيون على الاستفادة من وجود سعدون بن عريعر بينهم في الدرعية قدر استطاعتهم، فقد اكرمه عبد العزيز بن سعود ووعده بأن يسير معه لاسترجاع ملكه في بني خالد واخذ سعدون هو وبعض الخوالد الذين معه يغزون أطراف الاحساء.

وكانت سياسة آل سعود تقوم على التحريض لخلع عبد المحسن وابني اخته، واعادة سعدون الملتجيء اليهم الى الحكم، لقد كاتب عبد

---

(١) لمع الشهاب مرجع سابق ص: ٦٨.

العزيز بني خالد يأمرهم بطاعة سعدون بن عريعر، وبالفعل انحازت بعض قبائل بين خالد الى جانب نجد[1].

ولم يزل الاختلاف في بني خالد مدة خمس سنين، حتى جهز عبد العزيز مع ابنه سعود جيشا بلغ تعداده اربعين الفا ليسير الى بلاد بني خالد دون ان يرافقه سعدون، وذلك لترهيب زعيم بني خالد دويحس وتسليم الاحساء للوهابيين. وقد طلب عبد العزيز من ابنه سعود أن يخبر دويحس بالتالي: "هذا أخوك سعدون عندنا .. فإن سلمت لنا بلدك الاحساء ... كفانا ذلك منك وجعلنا سعدون في حوزتنا لا يصل اليك ... وإلا فنحن نحاربك ونسلط سعدون عليك"[2].

غضب دويحس من كلام عبد العزيز وسير جيشا التقى فيه مع سعود بن عبد العزيز، الذي انهزم في اللقاء الأول وانسحب خلال الليل، وبقي دويحس ينتظر عودته اربعين يوما، لكن عبد العزيز جهز جيشا جديدا بقيادة سعدون هذه المرة ليسير به الى الاحساء، واوصاه بغزو اطراف بني خالد قائلا: "ولا تبقي [3] أحدا تظفر به إلا قطعت رأسه، لأن القتل الشنيع هو الذي ذلل لنا رقاب قبائل نجد، كما علمنا بذلك شيخنا محمد بن عبد الوهاب[4].

وقد تابع الوهابيون سياستهم هذه بعد وفاة سعدون في الدرعية فنجدهم يطلبون من قبائل بني خالد منح ولائها لزيد بن عريعر.

---

(١) احمد ابو حاكمة محقق: لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب - دار الثقافة بيروت ص. ٦٩.
(٢) المرجع نفسه.
(٣) لمع الشهاب المرجع السابق ص. ٧٠.
(٤) احمد ابو حاكمة - تاريخ الكويت مرجع سابق ص. ٢٢٣-٢٢٤.

زيد بن عريعر ١٧٨٩-١٧٩٣:

في عام ١٧٨٩ أحس عبد العزيز بن سعود بمقدرته على غزو الاحساء فقام بصحبة زيد بن عريعر واتباعه من بني خالد بمهاجمة الاحساء وهزيمة الحكام الثلاثة الذين لجأوا شمالا الى قبيلة المنتفق، وقام عبد العزيز بتولية حليفه زيد بن عريعر على الزعامة في بني خالد.

وفي تلك الاثناء بدأت انتفاضة جديدة في الاحساء ضد سلطة الوهابيين فقد قتل سكان الهفوف ثلاثين من ممثلي الدرعية وسحلوا جثثهم في الشوارع ومثلوا بها، وأيدت الهفوف في حركتها هذه عدة واحات، كما أن زيد بن عريعر نفسه زعيم بني خالد وصنيعة الوهابيين كان مشاركا بالانتفاضة.

ولم تكن سيرة زيد بن عريعر على ما يرام فقد ارسل الى عبد المحسن بن سرداح يطلب منه الرجوع الى قومه، ويعده بأن يتنازل له عن رئاسة قبيلة بني خالد، وحين رجع عبد المحسن من المنتفق غدر به زيد وقتله عام ١٧٩١ بناء على تحريض من الوهابيين(١).

السمة الظاهرة في تاريخ بني خالد في هذه الفترة هي انقسامهم إلى قسمين:

- الأول معظمه بدوي وهم الموالون لآل عبد الله بن غرير.
- الثاني معظمه حضري وهم الموالون لآل محمد بن غرير.

وقد استمر العداء قائما بين هذين القسمين مع أن الموالين لمحمد بن غرير وعلى رأسهم زيد بن عريعر كانوا موالين للوهابيين. ومن هنا نستطيع القول بأن الوهابيين لم يوفقوا في القضاء على بني خالد عام ١٧٩٢ كما يعتبر البعض.

---

(١) احمد ابو حاكمة: تاريخ الكويت، مرجع سابق ص. ٢٢٧.

ويشير الدكتور أحمد ابو حاكمة في كتابه "تاريخ الكويت" إلى أن سقوط نفوذ بني خالد نهائيا في الاحساء لم يكن كما أشار ابن غنام وابن بشر مؤرخي تلك الفترة بزوال حكم زيد وتولي براك بن عبد المحسن.

وفي هذه الفترة بالذات انقلب ميزان التحالفات فنجد أن براك بن عبد المحسن وهو من قسم عبدالله المعارض للوهابية يلعب دورا كبيرا في الحملة الضخمة التي قام بها الوهابيون عام ١٧٩٣ وكان هو الوسيط بين الوهابيين وبني خالد النازلين في الاحساء في حين أن زيد بن عريعر الذي سبق وايده الوهابيون كان على رأس المعارضة من بني خالد، وكان يقطع الطريق امام المتجهين من نجد الى الاحساء، وقد رأى اخوته دويحس وماجد ومحمد ضرورة الالتفاف حول بعضهم ونسيان احقادهم امام الخطر الوهابي.

ولكي يبقي سعود على انقسام بني خالد فقد نجح باستمالة براك بن عبد المحسن[١]، الذي التحق بقوات الوهابيين بقيادة سعود، ويعتقد ان الذي دفعه لهذا الموقف هو ان زيد بن عريعر عدوه السابق اصبح الان ضد سعود.

براك بن عبد المحسن ١٧٩٣-١٧٩٦

يشهد له التاريخ بانه أول من حاول الوقوف بوجه السياسة الوهابية الداعية لتفرقة بني خالد، فقد ترفع عن اطماعه ونسي احقاده واتفق مع دويحس ومحمد ابنا عريعر، للقيام بمحاولة تجمع قسمي بني خالد، وهم آل عبد الله وآل محمد، وتهدف الى تثبيت بني خالد كأقوى دولة في شرقي الجزيرة. وكان الوهابيون يعملون على عزل اولاد عريعر من قسم محمد، وتركيز آل عبد المحسن من قسم عبد الله، وبهذا كانوا يتابعون سياستهم

---

(١) أحمد ابو حاكمة: تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص٢٢٨.

الرامية لضرب اقسام بني خالد بعضهم ببعض، وهم قد ادركوا ان براكا كان اضعف من ان يتآمر عليهم[1].

وإذا اعتبر معظم مؤرخي الوهابية ان سقوط بني خالد، قد تم بالقضاء على ابناء عريعر او القسم التابع لمحمد بن غرير، وتولية براك بن عبد المحسن التابع لقسم عبد الله بن غرير مكانه. فإن وضع حد لسلطان بني خالد في شرقي الجزيرة لم يتم إلا عام ١٧٩٥، عندما فشل براك واخرون من بني خالد في مهاجمة المقاومة الوهابية، ونجم عن ذلك ان قام سعود بهجمات انتقامية شملت جميع قبائل ومدن الاحساء، التي وقفت بجانب بني خالد وانزل الهزيمة بالعناصر الحاقدة على آل سعود، وأقام شهرا في الاحساء، أعاد فيه الامن الى نصابه وأقام الحدود وبنى حصنا اقام فيه مرابطين من القوات السعودية وولى امارة الاحساء لواحد من عامتهم، وهو ناجم بن دهينيم، كتب ابن بشر يصف اخضاع الاحساء وقمع الحركة فيها فقال: "فلما اصبح الصباح رحل سعود بعد صلاة الصبح فلما استووا – يقصد الوهابيين – على ركائبهم وساروا، ثوروا بنادقهم دفعة واحدة. فأظلمت السماء وارجفت الارض وتأرجح الدخان في الجو واسقط كثير من النساء الحوامل في الاحساء. ثم نزل سعود .. وظهر عليه جميع اهل الاحساء على إحسانه وإساءته وأمرهم بالخروج اليه فخرجوا فأقام في ذلك المنزل مدة اشهر يقتل من اراد قتله، ويجلي من اراد جلاءه، ويحبس من اراد حبسه، ويأخذ من الاموال، ويهدم من المحال ويبني ثغورا ويهدم دورا، وضرب عليهم الوفا من الدراهم، وقبضها منهم. وذلك لما تكرر منهم من نقض العهد ومنابذة المسلمين، وجرهم الاعداء عليهم. واكثر فيهم سعود القتل، فكان مع ناجم بن دهينيم عدة من الرجال يتخطفون في الاسواق لاهل الفسوق ونقاض العهد .. فهذا مقتول في البلد، وهذا يخرجونه الى الخيام ويضرب عنقه عند خيمة سعود حتى افناهم الا

---

(١) المرجع السابق، ص٢٢٩.

قليلا. وحاز سعود الاموال في تلك الغزوة مالا يعد ولا يحصى، فلما أراد سعود الرحيل من الاحساء أمسك عدة رجال من رؤساء اهلها وظهر بهم الى الدرعية واسكنهم فيها واستعمل في الاحساء اميرا ناجم المذكور وهو رجل من عامتهم"[1]. وكان اخر زعيم من بني خالد قاوم هجمات الوهابيين هو عبد الله بن سلمان المشهوري الخالدي، فأرسل عبد العزيز قواته برئاسة ابراهيم بن عفيصان لمطاردته في القطيف. ولم يكن لدى عبد الله الخالدي الجند الكافي للوقوف في وجهه، فاتجه الى جزيرة ثاروت، وهي اخر معقل لبني خالد كتب للوهابيين الاستيلاء عليه، وفر عبد الله بن سليمان طالبا النجاة والتجأ كغيره من زعماء بني خالد الى عرب المنتفق في الشمال. ومنذ عام ١٧٩٥، بدا واضحا ان نفوذ بني خالد، قد اضمحل في مدن الاحساء واستطاع عبد العزيز ال سعود ان يعين ولأول مرة حاكما على الاحساء لا ينتمي الى قبيلة بني خالد.

وفي عام ١٧٩٦ هرب براك بن عبد المحسن من الاحساء ولجأ الى قبيلة المنتفق شمالا، وكان ثويني شيخ هذه القبيلة، قد نال موافقة والي بغداد سليمان باشا[2]، للقيام بحملة ضد الوهابيين فانضم براك مع قواته من بني خالد الى جانب قبيلة المنتفق لمقاتلة الوهابيين[3]، واجتمعت لثويني قوات كثيرة من البادية والحاضرة وخاصة من جنوبي العراق واتجه الى منطقة الاحساء سنة ١٧٩٦، وكان يظن ان استيلاءه عليها لن يكون صعبا، فقد كانت فيها عناصر غير راضية عن الحكم السعودي، وكان برفقة ثويني زعيمان من زعماء بني خالدحكام المنطقة السابقين، هما براك بن عبد المحسن ومحمد بن عريعر، ولكن هذه الحملة كانت تحمل في داخلها بذور

---

(١) عثمان بن عبد الله بن بشر النجدي: عنوان المجد في تاريخ نجد "كتاب السوابق"، ج١، ص١٠٦، والملاحظ انه في هذا الجزء ذكر لمشايخ بني خالد وتاريخهم.

(٢) عبد الله العيثمين: تاريخ المملكة العربية السعودية الطبعة الاولى ١٩٨٤- ص١٥٤.

(٣) فاسيلييف: تاريخ المملكة العربية السعودية، دار التقدم، موسكو ص١١٣.

فشلها، فقد كان التنافس الخفي موجودا بين زعماء بني خالد المرافقين لهذه الحملة على رئاسة قبيلتهما مستقبلا. وفي اثناء سير الحملة تبين لبراك بن عبد المحسن ميل ثويني الى محمد بن عريعر واعتقد انه قد اتفق معه على ان ينفرد برئاسة بني خالد وحكم الاحساء بعد الاستيلاء عليها[1]. ولذلك اضمر في نفسه العداوة لثويني زعيم المنتفق. وجمع عبد العزيز كل قواته مدركا خطورة الموقف وامر البدو التابعين له بأن يحتلوا اراضي قبيلة بني خالد التي يمكن ان تنضم لثورة ثويني.

وحينما اقتربت قوات الحملة العراقية من القوات السعودية المكلفة بصدها اتصل براك بن عبد المحسن بالقائد السعودي تمهيدا لانضمامه اليه في الوقت المناسب. ثم لحق سعود بن عبد العزيز بقوات كبيرة للاشتراك في المعركة المنتظرة. وقبل المعركة، وثب رجل اسمه طعيس على ثويني وقتله، وكان هذا الرجل احد مماليك براك السابقين، وبمقتل ثويني دبت الفوضى في صفوف جيوشه التي لم تستطع مواصلة القتال، فعاد الجيش الى بلاده دون تحقيق هدفه عام ١٧٩٧، وهذا اول صدام مباشر بين آل سعود وقوة مكلفة من قبل والي بغداد بمحاربتهم، وبعد فشل هذه الحملة قام علي باشا مساعد سليمان باشا والي العراق بحملة ثانية عام ١٧٩٨ بناء لاوامر الباب العالي للقضاء على الدولة السعودية، التي اصبحت تهدد املاك الدولة العثمانية في الشام والعراق والحجاز، ولكن هذه الحملة فشلت ايضا بعد حصار دام شهرين، فانسحب من الاحساء، بعدما علم بمجيء سعود بن عبد العزيز بالمساعدات.

وانضم براك واتباعه الى القوات السعودية مطاردين فلول الجيش العراقي المنهزم الى بلاده[2]. وهكذا تمكن سعود بن عبد العزيز من

---

(١) روضة الافكار: ج١، ص١٤٣.
(٢) العيثمين: تاريخ المملكة السعودية، مرجع سابق، ص١٥٨.

هزيمة اهل الشرق واخضع الاحساء بكاملها الى الدرعية وطبق مبادئ الدعوة الوهابية.

بقيت الدولة العثمانية متحفزة للقضاء على السعوديين حتى استطاع والي بغداد داود باشا من تأييد بني خالد في استرداد ملكهم في الاحساء بعد القضاء على الدولة السعودية الاولى في عهد عبد الله بن سعود الكبير، الذي لم تكن له ميزات والده الحربية او الادارية، وذلك بعد ان استعانت الدولة العثمانية بمحمد علي والي مصر، الذي ارسل حملة بقيادة ابنه ابراهيم باشا، وقد استسلم عبد الله بن سعود سنة ١٨١٨، وارسل الى مصر ومنها الى الاستانة، حيث قتل هناك ودمر ابراهيم باشا الدرعية تدميرا كاملا[١]. وهنا لا بد ان نشير الى ان الدور المصري في الخليج العربي انقسم الى مرحلتين:

- **المرحلة الاولى:**

بدأت عام ١٨١١ وانتهت بسقوط الدرعية عام ١٨١٨، والقضاء على الدولة السعودية الاولى. وفي هذه المرحلة كان محمد علي يعمل كوال عثماني لمصلحة الدولة العثمانية، وقد قام ابراهيم باشا المصري بالموافقة على توجه ماجد بن عريعر احد زعماء بني خالد الى الاحساء ليحكمها خاصة وانها كانت تحت حكم اسرته قبل استيلاء السعوديين عليها[٢].

عندما وصل القائد الخالدي الى هناك هرب من الاحساء اميرها من قبل آل سعود، ولكن لم تمض ايام على استيلاء ماجد على المنطقة المذكورة، حتى وصل محمد كاشف مع فرقة عسكرية من جيش ابراهيم باشا، وصادر هذا القائد التركي الاموال وسفك الدماء وقتل العلماء، مما دفع

---

(١) مديحة احمد درويش: تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الاول من القرن العشرين، جدة، دار الشروق، الطبعة السادسة ١٩٩٢، ص٣٤.

(٢) عثمان بن عبد الله ابن بشر النجدي: "عنوان المجد" في تاريخ نجد الجزء الاول ص ٢٨٥-٢٨٦.

ماجد بن عريعر واخوه محمد للجوء الى العراق حتى انسحب القائد التركي لاحقا برئيسه ابراهيم باشا فعاد محمد بن ماجد واخوه الى الاحساء[1].

- المرحلة الثانية:

بدأت عام ١٨٣٦ وانتهت عام ١٨٤٠ بتوقيع معاهدة لندن وفي هذه المرحلة كان محمد علي يعمل لتأسيس دولة عربية كبيرة تشمل مصر والسودان بالاضافة الى الجزيرة العربية وبلاد الشام وتكون مستقلة عن الدولة العثمانية.

نهاية بني خالد:

بعدما تمكن بنو خالد من حكم الاحساء بمساعدة الحملة المصرية، عادت المناوشات بينهم وبين الامام تركي بن عبد الله سنة ١٨٢٦، وفي عام ١٨٢٩، كانت الموقعة الحاسمة عندما قام عمر بن عفيصان بأمر من الامير السعودي تركي بمهاجمة الاحساء، وتصدى له ماجد بن عريعر واخوه محمدا، ودارت الاشتباكات بين الطرفين، قتل خلالها ماجد بن عريعر، وانهزم محمد، وغنم السعوديون الكثير، وسميت هذه الوقعة "بالسبية" لكثرة ما سبى فيها من الابل والغنم والامتعة والاموال.

ثم كتب الامام السعودي تركي الى كبار الاحساء يدعوهم لمبايعته، فبايعوه. وهرب من لم يبايعه، اما محمد بن عريعر فقد تحصن بالكوت، ثم استسلم للامام تركي بن عبد الله[2].

---

(١) عبد الله العيثمين: تاريخ المملكة العربية السعودية، الطبعة الاولى ١٩٨٤، ص٢٠٣.

(٢) عبد الله العيثمين: تاريخ المملكة العربية السعودية، مرجع سابق، ص٢٠٦-٢١٦، وفي هذا الموضوع يشير د.جمال زكريا قاسم في كتابه الخليج العربي ص١٧٦ الى ان بني خالد استمروا يحكمون الاحساء حتى اوائل القرن التاسع عشر، حينما استولى عليها السعوديون، والحقيقة ان معظم مصادر تلك الفترة تشير الى ان نهاية النفوذ الفعلي لبني خالد كان عام ١٧٩٦ بنهاية حكم براك بن عبد المحسن في حين ان مصادر الوهابيين تعتبر القضاء على زيد بن عريعر عام ١٧٩٣ هو نهاية النفوذ الفعلي لبني خالد. ويعتبر جيران شامية=

في العلاقات الخارجية:

وفيها يتطرق البحث لعلاقة بني خالد في محاور ثلاث تجاذبتها وهي:

- القوى المحلية
- الدولة العثمانية والفرس
- المصريين

القوى المحلية:

رغم سكوت بني خالد في عهدهم الذهبي عن سياسة التجارة الحرة التي اتبعتها القبائل التي كانت تحت حمايتهم، فإن هذا يعود لفترة قوة بني خالد، وقد كان لهذه السياسة أثرها العكسي في فترة ضعف بني خالد، فنجد ان هذه القبائل التي بنت اسسها الاقتصادية على العمل التجاري وخاصة في مينائي العقير والقطيف الواقعين تحت نفوذ بني خالد، قد عمدت الى تقوية نفسها، عندما احست بضعف بني خالد وعدم صمودهم امام الضربات التي كالها لهم السعوديون.

بل ان هذه القبائل بدأت بتحصين نفسها، فنجد ان الكويت مثلا والتي توجه اليها الشيخ صباح بن جابر بعدما خسر معركته امام الفرس واستقر فيها الى جانب مجموعة من صيادي الاسماك من قبيلة العوازم، والتي كانت تعرف في اوائل القرن الثامن عشر بـ"الكرين"، كانت تحت حكم الشيخ براك بن عريعر، وهو الذي بناها، وبعد وفاة براك حكمها ابن اخيه الشيخ سليمان بن محمد بن عريعر، وكان يعين وكلاء عنه يختارهم

= ايضا في كتابه "آل سعود ماضيهم ومستقبلهم" ص٣٣ ان قضاء الوهابيين على نفوذ بني خالد كان سنة ١٧٩٣ اي في عهد زيد بن عريعر.

من الشخصيات البارزة من سكان الكويت، وكان الشيخ يرسل من القطيف ممثلا كل فترة لجمع الضرائب لحسابه[1].

الدولة العثمانية:

اما بالنسبة للدولة العثمانية التي كانت تحتل الاحساء قبل بني خالد، فقد كانت مرتبطة بالجزيرة العربية بمصالح دينية، وقد ذهلت من انتصار الوهابية وانتشار نفوذها حتى حدود البصرة، مع ان نفوذها كان ضعيفا في الاحساء، وكان مقتصرا على قبول الهدايا، التي كان يبعث بها حكام الاحساء الى ولاة البصرة وبغداد من وقت لاخر.

والملاحظ ان الدولة العثمانية لم تعلق اهمية كبرى على الاحساء لقلة الدخل الذي كان يرد منها، كما ان هذه الدولة التي كانت في مرحلة الضعف صرفت مجهودها للبلقان، خاصة انها كانت من الناحية العسكرية اضعف من ان تتدخل[2]. إلا ان ذروة الصراع بين الفرس والعثمانيين في تلك الفترة كانت عام ١٧٧٥، عندما انقسمت قبائل العرب النازلة بشاطئ الخليج الى قسمين، فقد وقف الى جانب الفرس قبائل عرب بو شهر وشيخ بندر ريق اللذين ساعدا الجيش الفارسي بالمؤن والذخائر، وكذلك بنو كعب اللذين قدموا اسطولهم لمساعدة الفرس وتركوهم يعبرون اراضيهم للوصول الى البصرة.

ويمكن القول بصفة عامة ان العرب النازلين في الشاطئ الشرقي للخليج وضعوا قوتهم في خدمة الفرس، اما العرب النازلين في الجانب العثماني، فقد وضعوا قواتهم الى جانب متسلمها العثماني لرد الخطر لفارسي ومنهم عرب المنتفق اللذين وقفوا جنبا الى جنب اثناء حصار

---

(١) وليد حمدي الاعظمي: الكويت في الوثائق البريطانية ١٧٥٢-١٩٦٠ دار رياض الريس – لندن الطبعة الاولى ١٩٩١، ص٢٣.

(٢) جمال زكريا قاسم: الخليج العربي، دراسة لتاريخ الامارات ١٨٤٠-١٩١٤، ص١٧٦.

البصرة مع بني خالد وساعدوا في تمكين قوافل المؤن من الوصول الى المدينة المحاصرة، وفي هذا دليل على الشعور العربي عند بني خالد في موقفهم الدفاعي ضد العدوان الفارسي على البصرة.

وفي نهاية الصراع استولى الفرس على البصرة وانتقلت التجارة البريطانية الى الكويت التي بقيت بعيدة عن عبث الفرس، ونشهد في هذه الفترة اعتداء من عرب المنتفق - الذين اعترفوا بسلطة الفرس على البصرة - على قافلة متجهة من الكويت الى بغداد، ووقوف بني خالد ضد قبيلة المنتفق في رد المعتدين وتأمين وصول القافلة الى بغداد(١).

وفي عام ١٧٨٦، زحف ثويني زعيم المنتفق على نجد بسبب اعترافها بسعدون بن عريعر وقام بمحاصرة بريدة، ولكن صمود اميرها جعله يرفع الحصار عنها ويعود الى بلاده(٢).

الواقع ان استنجاد الدولة العثمانية بمحمد علي للقضاء على الدعوة الوهابية يسجل رغبة العثمانيين بإنهاء دعوة جديدة معادية للعثمانيين اكثر من اهتمام هؤلاء بالاحتفاظ بنجد. ان القوات العثمانية الموجودة في الاحساء كانت تعاني من انتشار الحميات والاوبئة، مما ادى الى الاسراع بسحبها الى البصرة. ولعل ذلك هو الذي دفع العثمانيين للابقاء على حكم السعوديين في القطيف لقاء الجزية السنوية للدولة(٣).

ويبدو ان الدولة العثمانية ادركت ان حكم نجد يكلفها كثيرا فلجأت الى الحكم المحلي وكلفت واليها في البصرة لزيارة الاحساء عام ١٨٧٣، وسحب الحامية العثمانية منها، وتعيين احد شيوخ بني خالد ويدعى بزيع

---

(١) احمد ابو حاكمة: تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص١٧٤-١٧٥.
(٢) العيثمين: مرجع سابق، ص١٥٤.
(٣) جمال زكريا قاسم: الخليج العربي، مرجع سابق، ص١٩٦.

بن عريعر حاكما على الاحساء، ويرجع ذلك الاختيار الى عداء بني خالد التقليدي لآل سعود.

أما الاحتكاك بين السعوديين والعثمانيين فقد جرى في العراق نتيجة الاعمال العسكرية التي كانت تدور بين بني خالد والسعوديين في مرحلة الهجوم السعودي على الاحساء، وبدأت الاشتباكات بين الطرفين عن طريق قبيلة المنتفق، التي كانت مضاربها في جنوب العراق.

الفرس:

لم يكن السنة والشيعة المتركزين في القطيف على وفاق، وكان البدو ينتهزون فرصة الاضطرابات التي تحدث بين الطرفين فيقومون بأعمال النهب والتخريب. وهنا لا بد من الوقوف أمام المذهب الذي اعتنقه بنو خالد. ففي حين نجد سكوت معظم المصادر عن هذا المذهب باعتبار تسليمهم بأن بني خالد هم من السنة الموجودين في الخضم الشيعي يورد د. صلاح العقاد قوله بأن الشيعة المنتشرين في ساحل الخليج وبعض مدنه مثل القطيف بيئة ثانية من بيئات المعارضة للحكم السعودي الوهابي. فالحركة السلفية من حيث العقيدة على طرف نقيض مع المبادئ الشيعية، "وكانت غالبية قبيلة بني خالد في الاحساء تعتنق المذهب الشيعي، ولو أن البدو لا يكترثون عادة بالمباديء الدينية وهكذا سيكون موقفهم من الحركة السفلية"(١).

واذا كنت موافقا القسم الثاني من هذا القول المتعلق بضعف تقيد البدو بدينهم، إلا أنه من الثابت أن بني خالد هم من السنة، ودليلنا أن مواقفهم من الصراع الفارسي مع العراق كان إلى جانب الدولة العثمانية.

---

(١) صلاح العقاد: التيارات السياسية في الخليج العربي ص. ٦١.

بل ان العيثمين في كتابه تاريخ المملكة العربية السعودية يشير صراحة الى اعتناق بني خالد مذهب السنة فيقول:

ومن الدول التي اهتمت باستيلاء آل سعود على منطقة الاحساء الدولة الفارسية. واذا كان قد وجد خلاف حاد بين أنصار الدعوة الاصلاحية وبين كثير من المنتمين الى المذهب السني حينذاك فقد كان من الطبيعي أن يوجد خلاف اكثر حدة بين اولئك الأنصار وحكومة فارس التي كانت تدين بالمذهب الشيعي، ومعلوم أن بعض سكان المنطقة الشرقية ينتمون الى هذا المذهب. ومع أن هؤلاء كانوا تحت حكم زعماء بني خالد السنيين قبل دخول المنطقة المذكورة تحت حكم آل سعود إلا أن حكم اولئك الزعماء الخالديين لم يكن قائما على اساس من العقيدة مثلما كانت عليه الحال بالنسبة للحكم السعودي. ولذلك فإن حكومة فارس نظرت الى دخول شركائهم في المذهب تحت ظل حكومة سنية متحمسة لعقيدتها نظرة تختلف عن ذي قبل"(١).

هنا نستنتج أن بني خالد كانوا يشكلون حاجزا ضد التوسع الوهابي، وقوة ضد التوسع الفارسي بدفاعهم عن البصرة، فهم القوة الاقليمية التي قامت بحماية العتوب في الكويت والزبارة والبحرين، رغم أن الكويت مارست نوعا من الاستقلال الذاتي بعد وفاة سليمان بن محمد الحميد الخالدي عام ١٧٥٢، كذلك قام آل مسلم(٢) في قطر بممارسة نوع من الانفراد بحكم شبه جزيرة قطر في نفس هذه الفترة، ولا شك أن عتوب الزبارة بحكم موقعهم القريب من الاحساء، بدأوا يحسون بالخطر الوهابي وبعدم قدرة آل خالد بالدفاع عنها فبدأوا يعتمدون على وسائلهم الخاصة في

---

(١) العيثمين: مرجع سابق ص. ١٦٤-١٦٥.

(٢) آل مسلم من ربيعة وكانت ديارهم بفويرط وفريحة، وكان في استطاعتهم ان يعدوا للقتال الفي محارب راجع "تاريخ الكويت". احمد ابو حاكمة مرجع سابق ص. ١٣٥.

الدفاع عن مدينتهم[1] وبدأت تظهر الشقاقات في صفوف الجماعات الخاضعة لنفوذ بني خالد، عندما بدأ الوهابيون بتشديد حملاتهم عليهم في الاحساء وقطر.

فنجد العديد من القبائل العربية ومنهم آل مسلم في قطر ينضمون للدعوة الوهابية رهبة او رغبة[2].

من هنا كان سقوط هذا الحاجز ضد التوسع الوهابي بداية للصعوبات التي بدأت تتزايد بعد ذلك بين العتوب والوهابيين.

واخلص إلى أنه لا يمكن أن يقوض أي كيان سياسي ما لم يتعرض في الوقت نفسه لنزاع داخلي وغزو خارجي، فكانت الصراعات الداخلية بين زعماء بني خالد إضافة إلى الاطماع السعودية في اراضيهم وغزوهم للمنطقة سببا كافيا لتقويض حكمهم.

لا يخفى أن السبب الذي دفع آل سعود الى بذر الخلاف والشقاق بين زعماء بني خالد يعود لرغبتهم باقامة دولة قوية متوسعة على حساب جيرانيهم كما ان القادة السعوديون كانوا يشعرون بضرورة الوصول بنجد الى منطقة الخليج، وما كانت تمثله المنطقة الشرقية من غنى يساعد على تدعيم الاقتصاد في داخل شبه الجزيرة، جعل أهلها ينعمون برخاء اقتصادي يعود لصيد اللؤلؤ والاسماك أو من جراء عبور التجارة من بلادهم الى اراضي الداخل[3].

---

(١) احمد ابو حاكمة: تاريخ الكويت مرجع سابق ص. ١٣٤ راجع ايضا لمع الشهابي مرجع سابق ص. ٨٠-٨٤.

(٢) انظر لمع الشهاب مرجع سابق ص. ٩٤-٩٥ وابن بشر الجزء الاول ص. ١٠٦.

(٣) انظر احمد ابو حاكمة تاريخ الكويت مرجع سابق ص. ١٣٥ وكذلك لمع الشهاب ص. ٩٤-٩٥ وابن بشر ج ١ ص ١٠٦ وابن غنام ص. ١٩٨.

في الدوافع والنتائج:

عن الدوافع التي ادت الى دفع الوهابيين للاستيلاء على الاحساء نذكر:

١ - العلاقات السيئة بين حكام الاحساء وحكام نجد، وتتمثل في هروب بعض زعماء قبائل نجد من مطاردة امراء الدرعية لهم، مما أوجد وزكى العداوة بين الطرفين.

٢ - الدافع المذهبي، خاصة وان الاحساء توجد فيها بعض المذاهب التي تعارض الدعوة الوهابية.

٣ - الرغبة في التوسع عند الوهابيين خاصة بعد تحقيق الانتصارات في نجد.

٤ - أهمية المنطقة الشرقية الاقتصادية، وكونها بعيدة عن نفوذ الدولة العثمانية(١).

وفي النتائج، أحرز الوهابيون بانتصارهم على بني خالد مكاسب لم تقتصر على النصر بل تعدتها الى المغانم السياسية والدينية والاقتصادية.

- من الناحية السياسية: إن تأسيس النفوذ الوهابي في شرقي الجزيرة جعل القوى الاخرى ترهب وتهاب الوهابيين وتسعى للتحاور او التحالف معها درءا لخطرها. ومن الجماعات المتحاورة التي كانت تحت نفوذ بني خالد العتوب مثلا الذين شعروا بأنه عليهم اما الخضوع للوهابية أو أن يذوقوا مرارة الكأس التي شربتها قبيلة بني خالد. ومن الجماعات المتحالفة شركة الهند الشرقية الانجليزية صاحبة المصالح التجارية والتي تماشت مع الوضع الراهن وارسلت الهدايا للوهابيين لقاء الابقاء على بريدها الصحراوي بأمان.

---

(١) عبد الله العيثمين: تاريخ المملكة العربية السعودية مرجع سابق ص. ١١٦.

أما من الناحية الدينية فقد واجه الوهابيون صعوبات مذهبية خاصة وان معظم سكان الاحساء كانوا من الباطنية أومن الشيعة وان كان البعض يقول بوجود القرامطة بينهم وكان الاختلاف المذهبي نقطة ضعف بالنسبة للسيادة والتسلط الوهابي في الاحساء.

أما من ناحية المكاسب الاقتصادية فلا شك أن الوهابيين استفادوا استفادة كبيرة من ضمهم مناطق أغنى من مناطقهم واستحوذوا بذلك على ثروات طائلة. فلقد عرفت مزارع الاحساء منذ امد بعيد بانتاجها الوفير، وعرفت موانئها بأنها هي التي كانت تمون نجد والداخل ببضائع الهند واوروبا(١).

---

(١) ابو حاكمة، تاريخ الكويت مرجع سابق ص. ٢٣٣ وما بعد، راجع ايضا عبد الله العيثمي المرجع السابق ص. ١٢٠-١٢١.

حكام بني خالد في القرن السابع عشر والثامن عشر

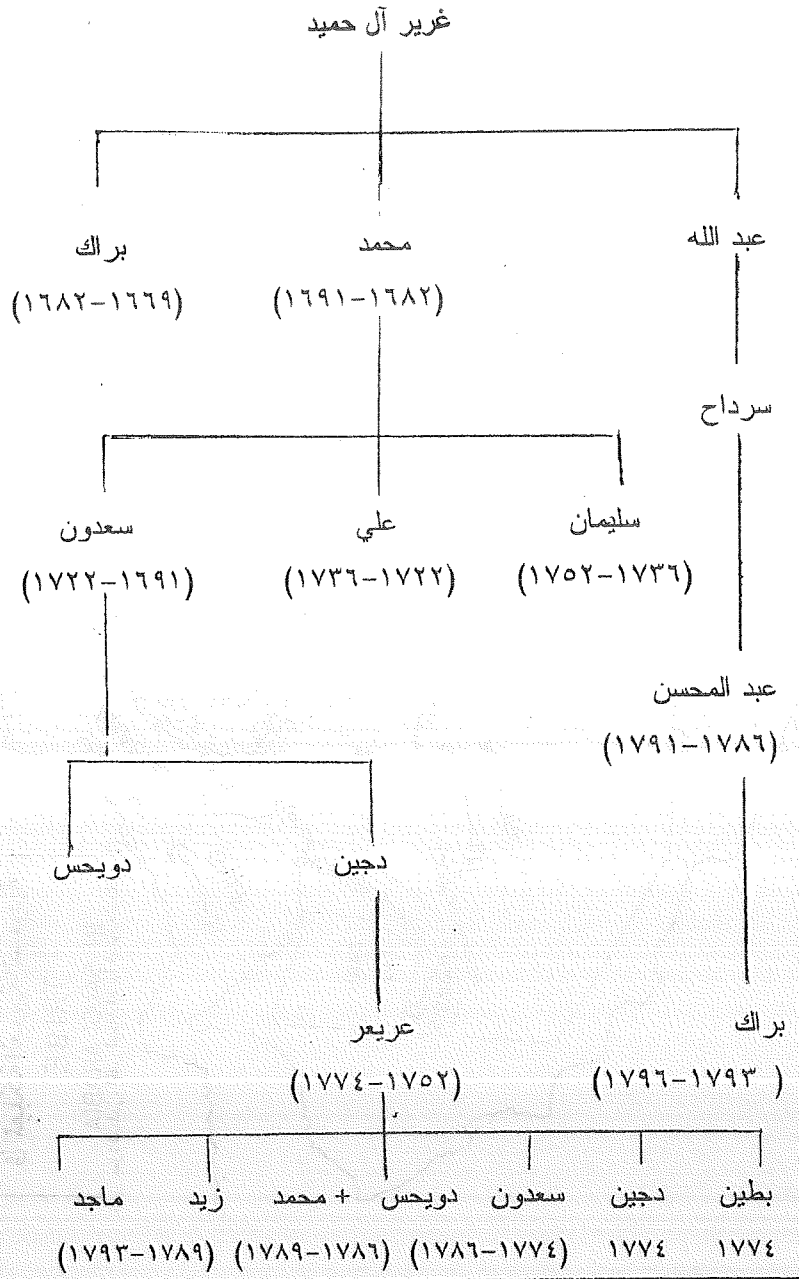

أحمد ابو حاكمة: تاريخ الكويت مرجع سابق ص ٣٤٤.

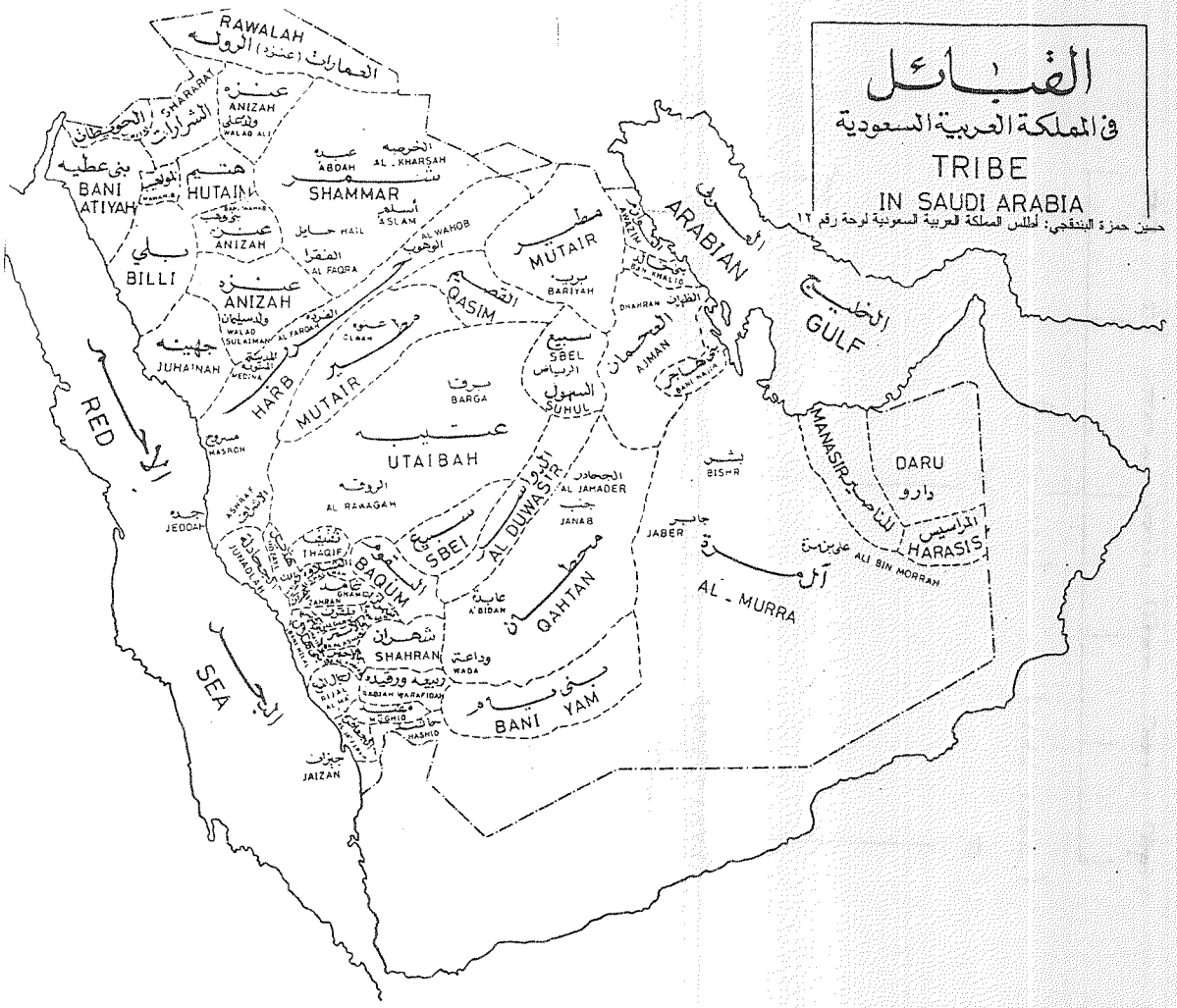

القبائل
في المملكة العربية السعودية
TRIBE
IN SAUDI ARABIA

حسين حمزة البنفجي: أطلس المملكة العربية السعودية لوحة رقم ١٢

المصادر والمراجع

١ - أحمد أبو حاكمة محقق: كتاب لمع الشهاب في سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب نشر دار الثقافة بيروت ١٩٦٧.

٢ - أحمد ابو حاكمة: تاريخ الكويت؛ لجنة نشر تاريخ الكويت؛ الكويت، دون تاريخ.

٣ - أحمد أبو حاكمة: تاريخ شرقي الجزيرة العربية من ١٧٥٠ إلى ١٨٠٠ ترجمة محمد امين عبدالله منشورات دار مكتبة الحياة بيروت - بدون تاريخ.

٤ - احمد بن زيني الدحلان: خلاصة الكلام في امراء البلد الحرام، مكتبة الكليات الازهرية، مصر الطبعة الاولى عام ١٨٨٨.

٥ - أمين الريحاني: نجد وملحقاته الرياض منشورات الفاخرية الطبعة الخامسة ١٩٨١.

٦ - جبران شامية: آل سعود ماضيهم مستقبلهم. منشورات رياض الريس ومشاركوه لندن ١٩٨٦.

٧- جمال زكريا قاسم: الخليج العربي دراسة لتاريخ الامارات ١٨٤٠-١٩١٤.

٨ - حسين حمزة البندقجي: اطلس المملكة العربية السعودية.

٩ - حسين ابن غنام، "روضة الافكار والأفهام لمرتاد حال الامام وتعداد غزوات ذوي الاسلام"، القاهرة ١٣٦٨هـ.

١٠- سليمان بن عبد الوهاب: الصواعق الالهية في الرد على الوهابية بدون تاريخ طبع حسين حلمي استامبولي.

١١- صلاح العقاد: التيارات السياسية في الخليج العربي ١٩٦٢.

١٢- عثمان بن عبد الله بن بشر النَجدي: عنوان المجد في تاريخ نجد، كتاب السوابق تحقيق عبد الرحمن آل الشيخ الطبعة الثانية الجزء الأول على نفقة وزارة المعارف السعودية ١٣٩١.

١٣- عبد الله صالح العيثمين: تاريخ المملكة العربية السعودية / الرياض الطبعة الأولى ١٩٨٤.
١٤- فاسيلييف: تاريخ المملكة العربية السعودية دار التقدم - موسكو روضة الإفكار.
١٥ - محمد آل عبد القادر: تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القديم والجديد. الرياض ١٣٧٩ الجزء الأول.
١٦ - محمد عبد اللطيف هريدي: تاريخ شبه الجزيرة العربية من المصادر التركية والعثمانية دار الزهراء للنشر القاهرة ١٩٩٠.
١٧ - محمد سعيد مسلم: ساحل الذهب الاسود: دراسة تاريخية إنسانية لمنطقة الخليج العربي، الطبعة الثانية منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٠.
١٨- مديحة أحمد درويش: تاريخ الدولة السعودية - جدة - دار الشروق الطبعة السادسة ١٩٩٢.
١٩- منير العجلاني: تاريخ البلاد العربية السعودية - الدولة السعودية الأولى الجزء الأول بدون تاريخ بدون معلومات النشر.
٢٠- ناصر الدين الاسد: محقق: تاريخ نجد للشيخ الامام حسين بن غنام، دار الشروق بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٥.
٢١- وليد حمدي الأعظمي: الكويت في الوثائق البريطانية ١٧٥٢-١٩٦٠ دار رياض الريس ومشاركوه - لندن الطبعة الاولى ١٩٩١.